خلق الإسلام

الحياء

الخلق الذي كاد أن يضيع

إهداء

إلى ابنتي ؛ أجمل زهرة في حياتي . . .

اعلمي أن أجمل أخلاق المرأة الحياء ، وإنها أشد ما تكون جمالا حين تستحي .

واعلمي أن المرأة قد فطرت والحياء قطعة من أنوثتها ، فإذا فقدته فقدت قيمتها ، فلم يعد لها حينئذ ثمن .

فكوني حيية بإسلامك وإيمانك، وإياكِ أن تنزعي عنك رداء الحياء، فهو رداء مريم وفاطمة وابنتي شعيب وأم سلمة ورداء الصالحات إلى يوم الدين . . .

وكوني قوية مع حيائك، فالحياء قوة وبقاء ، ولا تكوني ضعيفة، فليس في الإسلام ضعف أو خجل .

وإلى أبنائي جميعا ، . . . .

إعلموا أن الحياء هو خلق الإسلام ، وهو قوة وطهارة النفس والروح، وأن الإسلام دينٌ يطلب معالي الأخلاق والهمم ، ولا يرضى بالضعف ودنو الهمم .

واعلموا أن الحياء خلق رفيع، قد جهله كثير من الناس، ولم يعرفوا عنه إلا أدنى درجة منه وهو ترك المعاصي، ولكن الحياء أسمى من ذلك، فهوخلق يسمو بالمرء بعيدا جدا فوق الفضائل فضلا عن بعده عن المحرمات.

ولا يخدعنكم الشيطان أو شياطين الإنس بترك الحياء بمعسول كلامهم، فهم قد فقدوا الحياء، وفقدوا خلق الإسلام واتبعوا أهوائهم...؛ ومن أضل ممن اتبع هواه ؟!!!

لقد قَصُرَ بنا فهم الحياء كخلق حتى قصرناه على أمرين: لباس المرأة وترك المعاصي، وإنما ذلك أدنى درجات الحياء. ولما قصر فهمنا عنه ضاع منا كثير من معناه، وكاد أن يضيع فينا كخلق وقل وجوده في المجتمع.

وهذا الكتيب إنما هو جهد الضعيف للفت الأنظار إلى هذا الخلق الكريم الذي أحببناه دون أن نعرفه جيدا في أخلاقنا وحياتنا، وهو دعوة لكل مؤمن ولكل ذي فضل أن يتخلق بهذا الخلق الراقي فهو من صفات المؤمنين وأهل الفضل من الناس وأصحاب المروءات.

مقدمة

أين العلماء من قول رسول الله ﷺ: (**إنَّ لكلِّ دينٍ خلُقاً، وخُلُق الإسلام الحياء**)[1].

لقد كان حريٌّ بالعلماء أن يجعلوا هذا الحديث أصلا من أصول الدين مثل حديث "**إنما الأعمال بالنيات**"، ولقد كان حريٌّ بهم أن يتخذوه شعارا للدين وشعارا لهم، وشعارا للمسلمين، فإن اختيار خلق الحياء كخلق الإسلام يعني أنه الخلق الذي ينبغي أن يتحلى ويتخلق به كل مسلم ومسلمة، وإن اختيار الحياء كخلقٍ لدين الإسلام له دلالة قوية وعظيمة على أهميته لديننا ودنيانا، وأهميته للمسلمين في حياتهم كلها.

لقد اهتمت الأمة بالفقه والأحكام على مدى تاريخ الإسلام حتى لم تعد تتسع المكتبات للمجلدات التي أُلفت فيها، ولم تُعطَ الأخلاق وقيم الإسلام حقها الواجب حتى كاد يضيع كثيرٌ منها، ومنها خلق الإسلام؛ الحياء. **وهل تنفع الأحكامُ أمةً إذا ضاعت أخلاقُها؟؟!**

وأين هم المسلمون اليوم من هذا الخلق الذي اختاره رسول الله ﷺ شعارا للإسلام؟

إن الإسلام هو خير الأديان، وهو دين الله الخاتم الذي جعله مهيمنا على مَن قبله، وهو يسمو بالمسلم إلى أعلى الدرجات في أخلاقه وأفعاله، وحتى فكره وطموحاته، ولذلك قال رسول الله ﷺ: (**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ**

[1] الراوي: أنس بن مالك- سنن بن ماجه-أبواب الزهد-باب الحياء-حديث رقم ٤١٨١

فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ)[٢].

وسؤال الله بلا عمل من التمني والغرور، يقول الله تعالى:(**فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا . .**)(الكهف من الآية: ١١٠)، ويقول رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : **(مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ)**[٣].

ولذلك فإن رسول الله حين وصى صحابته بأن يسألوا الله الفردوس من الجنة أراد أيضا أن يعملوا لهذه الدرجة طلبا لمعالي الأمور. ولكن الجنة وما فيها من فضل الله، ولن ينالها أحدٌ إلا بفضل من الله وكرمه، ولذلك فإن أول عمل من الأعمال يرجو به المؤمن نوال هذه الدرجة هو سؤاله سبحانه وتعالى أن يجعله من أهلها، وأن يُوفقه للعمل لها، ولن يُوفَقَ أحدٌ في العمل لها إلا بفضل من الله سبحانه وتعالى.

فدين الإسلام يدعو دائما إلى معالي الأمور وأعلى الدرجات، ويسمو بالنفس عن دناياها، ومن أجل ذلك كله كان خلق الحياء هو خلق الإسلام، ذاك الخلق الكريم الذي يسمو بنفس المؤمن وأخلاقه عاليا جدا في علاقته بربه والناس وحتى نفسه التي بين جنبيه.

---

٢ الراوي : أبو هريرة | المصدر : صحيح البخاري-كتاب التوحيد-باب (وكان عرشه على الماء) حديث رقم ٧٤٢٣

٣ الراوي: أبو هريرة. المصدر-سنن الترمذي-أبواب صفة القيامة والرقائق والورع- حديث رقم ٢٤٥٠

فخلق الحياء لمن يعيه من أعلى مكارم الأخلاق، لأنه يضع المسلم في درجة عالية وبعيدة جدا عن الدنايا والرذائل فوق بُعدهِ عن المحرمات، وهو يضع المسلم عاليا في حسن الخلق وإتيان المعروف من القول والفعل فوق ما افترضه الله من الطاعات.

ولقد قَصُرَ بنا فهم الحياء كخلق حتى قصرناه على أمرين: لباس المرأة وترك المعاصي، وإنما ذلك أدنى درجات الحياء. ولما قصر فهمنا عنه كاد أن يضيع فينا كخلق وقل وجوده في المجتمع إلى أن تكشفت النساء، وجاهر الناس بمعاصي دنيةٍ ومرزولة، ونحن نستنكر ونتعجب من حالهم وما وصلوا إليه، وما في ذلك عجب. فإن ستْر المرأة لنفسها هو شيء ينتج عن حيائها، وترفع الرجل بنفسه أمام الناس عن الأخلاق المرزولة هو شيء ينتج من خصلة الحياء فيه، فإن لم يكن لهم من خلق الحياء نصيب فكيف نتعجب أن يأتوا من الأفعال قبيحَها؟!. ومما زاد الأمر سوءا أن العلماء ما يضربون أمثلة على الحياء إلا مما ورد عن السلف في ذلك الأمرين فقط إلا قليلا، وهو أسمى من ذلك بكثير.

وهذا الكتيب إنما هو جهد الضعيف للفت الأنظار إلى هذا الخلق الكريم الذي أحببناه دون أن نعرفه جيدا في أخلاقنا وحياتنا، وهو دعوة لكل مؤمن ولكل ذي فضل أن يتخلق بهذا الخلق الراقي فهو من صفات أهل فضل الفضل من الناس وأصحاب المروءات.

أسأل الله تعالى فيه التوفيق والسداد، وأن ينفع به كل مؤمن يرجو الله والدار الآخرة.

ما هو الحياء؟

قيل إن الحياء هو انقباض النفس عن كل قبيح أو عن كل ما يُلام عليه، ولكني أراه تعريفا ناقصا لأنه يضيع كثيرا من خلق الحياء، ويَقصُرُ بمعنى الحياء عن المراد به.

وعرّفه آخر فقال: هو خلق رفيع يمنع الإنسان عن الاتصاف بالأخلاق الوضيعة، والأقوال المشينة، وهذا يصح أن يكون تعريفًا لمن فقد الحياء، وليس تعريفا لمن تحلى بالحياء، فمن فقد الحياء لا يمتنع من الأخلاق الوضيعة، والأقوال المشينة.

والمعنى الصحيح أن الحياء هو انقباض النفس عن كل ما يلوم على فعله وقوله أصحاب الفضل والمروءات، وخلقٌ يدفع النفس لأجمل الأفعال التي يبتغيها أهل الفضل من الناس، ويتحرج معه المرء من رؤية القبيح وسماعه فضلا عن فعله.

لأن الحيي لا يأتي كثيرا من الأفعال التي لا يكره فِعلَها كثيرٌ من عوام الناس ولا يلومون عليها، وإن كانوا من أهل الخير لترفعه عنها، فضلا عن أن يأتي من الأفعال ما يستقبحونها ويعيبون عليها.

فالحيي يرتقي فوق أهل الخير والأخلاق من الناس، ولذلك هو زينة الأخلاق. وهذا هو معنى الحياء الصحيح الذي افتقدناه في أنفسنا وحياتنا.

فالحياء خلق رفيع يستوي فوق الأخلاق الكريمة مع المروءة والحلم والصفح الجميل. والحيي أخلاقه وأفعاله تعلو إلى درجةٍ فوق الصواب والخطأ، والجميل والقبيح إلى ما هو أجمل وأرقى من الأفعال والأقوال، وما هو أنقى للسمع والبصر.

وقيل أيضا أن الحياء هو أن تخجل النفس من العيب والخطأ قولا وفعلا وسمعا وبصرا. والخجل هنا ليس عن ضعف النفس، بل عن ترفع النفس وطهارتها أن تأتي ما يعيبها أن تفعله أو تقوله، أو أن تسمعه أو أن تراه. أما إذا كان ذلك نتيجة لضعف النفس فليس ذلك هو الحياء، بل هو خلق الخجل، لأن الحياء لا علاقة له بالضعف.

والحياء مشتق من الحياة..، وكما أن في الحياة قوة وحيوية ونقاء، فكذلك الحياء هو قمة نقاء النفس وطهارتها مع قوتها، وأما الخجل فهو ارتباك وإحراج ينتج عن جبن أو ضعف في الشخصية، وليس في الحياء شيئ من ذلك.

والحياء والخجل يشتركان فيما يظهر على وجه المرء إذا رأى ما يَعيب أو يُعاب عليه. ولذلك يظهر أحيانا على وجه الحيي ما يظهر على وجه الخجول، ولكنه في الحياء ينتج من طهر نفس قوية، والخجل يأتي من نفسٍ ليس لديها الجرأة للقيام بهذا الفعل أو القول أمام الناس نتيجة ضعفٍ فيها أو خوف، أو تردد.

مثال على ذلك أن تقعد بين قوم يتناولون بعضهم ببذيء من الكلمات في هزرهم ودعاباتهم فتستحي أن تشاركهم في بذاءاتهم، بل وتفارق مجلسهم حياءً من أن تسمع أذنك مثل هذه الكلمات.

وقد يظن ظان أن مثل هذا الفعل هو مجرد مفارقةٍ للمنكر، وهو بالفعل في ظاهره كذلك، ولكنّ المؤمن إذا تعودت نفسه على طهارةِ سمعها وبصرها في كل حياتها تأذت إذا صادفت ما يعكرهما قولا وفعلا، وخجلت إذا رأته فقط أو سمعته من غيرها، فإن استطاعت أن تمنعه

منعته، وإلاّ لم تستطع أن تصبر عليه حتى تفارقه وتبتعد عنه ولا تلفت للناس، وقد غلب ذلك عليها فظهر على وجهها.

فالحياء يحتاج إلى شخصية قوية نقية تنفر أن تشارك الناس في سفاهاتهم أو معاصيهم ولو بالسمع والنظر، ولا تأبه لهم ولا تلتفت لهم في ذلك ولا تعريهم شأنا...

ولذلك فالحياء هو قمة طهارة النفس و الروح وقوتهما. وعلى حسب حياة القلب ونقائه تكون فِيه من قوة خلق الحياء. ولذلك كان رسول الله ﷺ في أعلى درجات الحياء حتى يصفه أبو سعيد الخدري ﷺ فيقول: **(كان النبي ﷺ أشدّ حياءً من العذراءِ في خِدرهَا، فإذا رأى شيئًا يكرههُ عرفناهُ في وجههِ)**[٤].

فالحياء ليس هو الشيء الذي يتعلق في كثير من أذهان الناس، والذي يرتبط بشيء من الضعف والإحراج مع حمرة الوجه؛ فذلك هو الخجل الذي هو صفةُ ضعفٍ في بعض الناس. ولكن الحياءَ خلقُ الأنفس القوية الطاهرة النقية، وهذا مما يغيب معرفته عن أكثر الناس.

ولعل هذا الأثر الجميل يبين للقارئ ما هو الحياء كخلق رفيع من مكارم الأخلاق يدعو لأجمل الأفعال:

مرّ عبيد الله بن معمر بحبشي يأكل تمراً وبين يديه كلب، فلما وضع في فمه لقمةً رمى إلى الكلب بلقمة وتمرة. فقال له عبيد الله: هذا الكلب لك؟ قال: لا. قال: فكيف صرت

٤ متفق عليه. الراوي: أبو سعيد الخدري رواه البخاري حديث رقم ٦١٠٢)، ومسلم برقم(٢٣٢٠) واللفظ للبخاري

تطعمه وأنت تأكل؟ قال: إني لأستحيي ذا عينين أن ينظر إليَّ وأنا آكل فلا أطعمه.....!!!

ذلك هو الحياء؛ طهارة ورقي، وخلق رفيع، يدفع لكل فعل كريم وجميل، وقوة نفس تنفر من أن تأتي ما يَعيب، وصيانة سمع وبصر ولسان أن يَسمع المؤمن ويرى ويتكلم بما يُعاب عليه، وهو بذلك من أرفع مكارم الأخلاق.

ولذلك قالت أم المؤمنين عائشة ﵂: **رأس مكارم الأخلاق الحياء**[٥].

ولا عجب بعد ذلك أن يقول فيه رسول الله ﷺ: (**إنَّ لكلِّ دينٍ خلُقاً، وخُلُق الإسَلامِ الحياء**)[٦]

فالإسلام لا يطلب إلا معالي الأمور وأكرمها....

٥ الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح شمس الدين، ٢٢٧/٢ ، ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، ٣٤/١ .

٦ الراوي: أنس بن مالك- سنن بن ماجه-أبواب الزهد-باب الحياء-حديث رقم ٤١٨١

الحياء والإيمان

مما قصر به فهمنا، الإيمان؛ الإيمان الذي قصرناه على الأركان الست، كما جاء في الحديث عندما سُئل النبي ﷺ ما الإيمان ؟ فقال ﷺ : **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر)**[٧].

وقد قصرنا الإيمان على تلك الأركان الست ولم تُعطَ شُعَبَهُ حقَّها كما جاء في الحديث الآخر عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**الإيمانُ بِضْعٌ وسَبعُون – أو بِضْعٌ وسِتُّون – شعبة، أعلاها: قولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمان)**[٨].

وعندما يخص رسول الله ﷺ الحياء بالذكر في الحديث دون شعب الإيمان الأخرى بعد أن بيّن أعلاها وأدناها، ففي ذلك دلالة قوية على أهميته للمسلم في إيمانه.

يقول عبد الرحمن السعدي: هذا الحديث من جملة النصوص الدالة على أن الإيمان اسم يشمل عقائد القلب وأعماله، وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان، فكل ما يقرب إلى الله، وما يحبه ويرضاه، من واجب ومستحب، فإنه داخل في الإيمان،..

٧ الراوي أبو هريرة.] صحيح البخاري- كتاب تفسير القرآن- حديث رقم (٤٧٧٧) ومسلم بنحوه-كتاب الايمان- حديث رقم (٩/ه).

٨ الراوي أبو هريرة. صحيح مسلم-كتاب الايمان- باب شعب الايمان- حديث رقم (٥٨/٣٥).

ويقول أيضا: (ولعل ذكر الحياء لأنه السبب الأقوى للقيام بجميع شعب الإيمان....ونصيب العبد من الإيمان بقدر نصيبه من هذه الخصال، قلة وكثرة، وقوة وضعفا، وتكميلا وضده..) [٩]

والأركان الست إنما هي أصل الإيمان وهي أعلاه، وهي تحيط بشعب الإيمان، ولكن من شعب الإيمان من لا يقوم الإيمان إلا معه ولا يقوم بغيره، ومن ذلك الحياء والأمانة.

يقول رسول الله ﷺ: **(إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ)**[١٠].

ويقول أنس ﷺ : ما خطبنا نبي الله ﷺ إلا قال **(لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ)**[١١] .

فالإيمان والحياء والأمانة قرناء لا يفترقون، ولا يجتمع أحدهم في قلب مؤمن دون الآخر، وإذا سلب أحدهم تبعه الآخر.

وكما أن (لا إله إلا الله) شعبة من الإيمان وهي أعلى شعبة منه، فإن الحياء شعبة منه أيضا، والعلاقة بينهما على التصاق وثيق لا ينتزع أحدهما حتى يأخذ الآخر معه، وهذا ما أكد عليه رسول الله صلى الله في الحديث.

---

٩ (في كتابه بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار-حديث رقم٧٩- ص١٦٠)

١٠ الراوي: عبدالله بن عمر-صحيح الأدب المفرد للبخاري- كتاب الحياء ٥٥٨- حديث رقم ٩٩١/١٣١٣

١١ الراوي: أنس بن مالك. مسند أحمد. مسند أنس بن مالك- الجزء ١٩-ص ٣٧٥

وهذا الحديث مما يؤكد على أن خلق الحياء الذي هو خلق الإسلام كان ينبغي أن نتخذه أصلا من أصول ديننا وأخلاقنا، وكان ينبغي أن نحافظ عليه في الأمة في أعلى درجة منه لأنه شعارها وخلقها، فبه يزداد الإيمان، وبنقصانه ينقص الإيمان، ولأن بحفظه حفظ كثير من الأخلاق والقيم، وبحفظه أيضا يتحصن المسلم والمسلمة من كثير من الفتن، ويتباعدان كثيرا عن المعاصي فضلا عن أن يقعان فيها.

عن أبي بكرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (**الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النار**) [١٢].

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: (**الحَيَاءُ وَالعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ، وَالبَذَاءُ وَالبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ**) [١٣].

(العي: هو قلة الكلام حذرا من الوقوع في الإثم أو في ما لا يعني، والبذاء الفحش من القول وإن كان صدقا، والبيان هو كثرة الكلام بما لا يرضي الله ، وقيل هو التعمق في النطق وإظهار التفاصح للتقدم على الأعيان)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: مرَّ النبيُّ -ﷺ- على رجل وهو يعاتب أخاه فِي الحياء يقول: إنك لتستحي حتى كأنه يقول: قد أضرَّ بك، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (**دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ**)[١٤].

---

١٢ الراوي: أبو هريرة- صحيح ابن حبان -كتاب الرقائق-باب الحياء-حديث رقم (٦٠٨)،
١٣ الراوي: أبو أمامة الباهلي-سنن الترمذي -كتاب البر والصلة-باب ما جاء في العي- حديث رقم (٢٠٢٧)
١٤ الراوي: عبدالله بن عمر-صحيح البخاري-كتاب الأدب -باب الحياء- حديث رقم ٦١١٨

يقول الإمام الطحاوي في العلاقة بين الإيمان والحياء – لما سُئل عن ذلك–: أنّا وجدنا الْحياءَ يقطع صاحبه عن ركوب المعاصي أقوالًا وأفعالًا كما يقطع الإيمان أهله عن مثل ذلك، وإذا كان الحياء والإيمان فيما ذكرنا يعملان عملًا واحدا كانا كشيءٍ واحد، وكان كل واحد منهما من صاحبه، وكانت العرب تقيم الشيء مكان الشيء الذي هو مثله أو شبيهه[١٥].

وعن إياس بن معاوية بن قُرَّةَ المزني رضي الله عنه –عن أبيه عن جده قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فذُكر عنده الحياء، فقالوا: يا رسول الله، الحياءُ من الدين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ)**[١٦].

هذا هو موقع الحياء من الدين والإيمان، لكننا تعاملنا مع خلق الحياء من باب أنه زينة الأخلاق، وهو كذلك، ولكن ليس لأنه فضل يمكن الاستغناء عنه، بل لأن صاحبه يكون بخلق الحياء زينة بين الفضلاء في أخلاقهم.

١٥ شرح مشكل الآثار للطحاوي- ج ٤- ص ١٨٨.
١٦ المعجم الكبير للطبراني-باب القاف-حديث رقم ٦٣- السنن الكبرى للبيهقي-كتاب الشهادات-باب مكارم الأخلاق- حديث رقم ٢٠٨٠٨

فضل الحياء

إنه ليكفي في فضل الحياء أنه من صفات الرحمن، وقد ورد ذلك في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ ربَّكم حيِيٌّ كريمٌ، يستَحي مِن عبدِهِ إذا رفعَ يدَيهِ إليهِ أن يرُدَّهُما صِفراً**) [١٧].

ويقول رسول الله ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ**)[١٨]

وحياء الله من عبده ليس كحياء العبد والمخلوقين، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه؛ فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الربُّ سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيئه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر.

ويكفي في الحياء فضلا أنه من أفضل الأخلاق وأجلِّها، وهو خُلُق من أخلاق الكرام، وسمة من سمات أهل المروءة والشرف.

وكفى بالحياء خيرا أن يكون دليلا على الخير، وكفى بالبذاء شراً أن يكون سبيلا إلى الشر.
ويكفي الحياء فضلا أنه يأخذ بالمرء إلى التحلي بأخلاق كريمة أخرى مثل الحلم والصفح.

---

١٧ الراوي: سلمان الفارسي- صحيح بن حبان- كتاب الرقائق- باب الأدعية- حديث رقم ٨٧٦
١٨ الراوي: يعلى بن أمية- سنن النسائي- كتاب الغسل والتيمم- باب الاستتار عند الاغتسال-حديث رقم ٤٠٦.

فالحياء داعٍ إلى الخير وإلى كل جميل من الأفعال والأقوال، وصارف عن الشَّرِّ حتى يمنع صاحبَه من فعل القبيح أو قوله وحتى سماعه ورؤيته، وإن كان شيئا لا يستقبحه عامة الناس.

أما الحياء للعبد فيكفيه فضلا أنه للعبد خير كله، ولا يأتي من ورائه إلا الخير له، بل هو من مفاتيح الخير للعبد ولو ظهر للناس غير ذلك.

عن عِمْرانَ بن حُصَيْن – ﷺ – عن النبي – ﷺ – أنه قال: (**الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**)، فقال بُشيْر بن كعب: مكتوبٌ في الحكمة: إن من الحياءِ وقارًا، وإن من الحياءِ سَكينةً.

فقال له عمران: أُحَدِّثُكَ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – وتُحدِّثُني عن صحيفتك؟[١٩]

صحيفتك؟[١٩]

وقد غضب عِمران لأن بُشير قال (من) وهي للتبعيض، فغضب لمعارضته لكلام رسول الله ﷺ بكلام آخر.!

وفي رواية لمسلم: قال رسول الله – ﷺ –: (**الحياءُ خيرٌ كلُّه**) ، قال: أو قال: (**الحياءُ كلُّه خير**)[٢٠]

فالحياء لا يكون من ورائه للمرء إلا الخير، بعكس ما يظهر أحيانا للناس من أن الحياء يدفع المرء للسكوت عن بعض حقه أو يضيع عليه بعض المنافع.

---

١٩ الراوي:عمران بن الحصين - صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب الحياء-حديث رقم ٦١١٧.
٢٠ الراوي:عمران بن الحصين-صحيح مسلم-كتاب الايمان- باب شعب الايمان-حديث رقم ٦٠/٣٧.

مثال على ذلك أن تسمع من يُلقي عليك كلمة بذيئة فإذا التفت إليه وجدته رجلا كبيرا قد أصابه الشيب، فتستحي من شيبته فلا ترد عليه، وأنت تقدر على الرد عليه، فذلك من الحياء، ولم يكن سكوتك عن ضعف منك أو من عدم قدرة على الرد. ومثلُه لو تعدت عليك امرأةٌ بالقول فتستحي أن ترد عليها أو تجاوبها، لأنها امرأة، وما ينبغي أن تكافئها بالقول أو الفعل فتستحي أن ترد عليها.

ومثالٌ أيضا؛ أن يكون لك دَيْن على شخص فتستحي أن تطالبه خوفا من أن يكون مُعسرا، فإذا طالبته واريت في كلامك حتى لا تحرجه، فيتأخر في رده لك، وهو حقك، ولكَ أن تطالبه به. فهذا مما قد يظهر للناس أن فيه تضييع لمنفعة أو مصلحة، أو تضييع حق للمرء، ولكنه أبدا لا يأتي إلا بخير للمرء، وذلك جزاء الله وثوابه يقينا على لسان رسوله ﷺ.

ويكفي الحياء فضلا أن الحيي يحبُه الله؛ قال رسول الله ﷺ : (**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ، وَيَكْرَهُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ، وَيُبْغِضُ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ وَيُحِبُّ الْحَيِيَّ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ**)[٢١].

قال وهب بن منبه: الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء.

والحياء مشتق من الحياة ولذلك يقول ابن القيم: فمن لا حياء له ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء"

٢١ الراوي:أبوهريرة- شعب الإيمان للبيهقي-40-الملابس والزي والأواني وما يكره منها -فصل فيمن كان متوسعا فلبس ثوبا حسنا-حديث رقم-٥٧٩١

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله -ﷺ-: (**ما كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ)**[٢٢] .

قال الحسن البصري:

"الحياء والتكرُّم خصلتان من خصال الخير لَمْ يكونا في عبدٍ إلاَّ رفعه الله بهما."

٢٢ الراوي: أنس بن مالك-سنن الترمذي- أبواب البر والصلة-باب ما جاء في الفحش والتفحش- حديث رقم ١٩٧٤.

أنواع الحياء

الحياء نوعان : حياء فطري وحياء مكتسب؛ والناس تتفاوت فيه على مراتب شتى ودرجات، فأدناها هو ترك المعاصي وكف الشر عن الناس قولا وفعلا –وهذه الدرجة هي ما يدور حولها فهم الناس وكلام العلماء عن الحياء–، وأعلاها هو حق الحياء الذي بينه رسول الله ﷺ في الحديث فيما رواه عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ :

(اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاء.

قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ.

قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى،

وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا،

فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ) [٢٣]

أمّا الحياء الفطري: فهو الذي خلقه الله في النفوس كلها، كالحياء من كشف العورة، والجماع بين الناس. وهذا ما بينه الله سبحانه وتعالى في كتابه تعالى عن آدم وحواء **(فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ)**(الأعراف: ٢٢)، والنفوس قد فطرها الله على أصل الحياء هذا حتى تجد مثل ذلك في الناس جميعا حتى في غير المسلمين، وحتى يكبر أحدهم فيزداد حياء أو ينزعه عن نفسه، وقد يصل الحال إلى

[٢٣] - الراوي: عبدالله بن مسعود-صحيح الترمذي-أبواب صفة القيامة والرقائق والورع- حديث رقم ٢٤٥٨.

أن تنقلب تلك الفطرة حتى يأتي المرء من الأفعال أقبحها وأفضحها أمام الناس بلا إحساس، وقد وصل الحال بأناس في الغرب والشرق الأبعد إلى مثل هذه الدرجة من سفالة النفس وإلى درجة لا تقبلها بعض الحيوانات.

ومن الفطرة التي فطر الله الناس عليها جميعا أيضا أنك تجد المرأة أشد حياء واستحياءً من الرجل، وحرصاً على ألا تُلام أو يُرى عليها ما يُعاب أكثر من الرجل، أو تأتي من الأفعال والأقوال ما هو فضيحة وشين.

وأمّا الحياء المكتسب فيكتسبه المرء من دينه وتربيته على الأخلاق الكريمة، وهذا إذا فعله المرء ابتغاء وجه الله دخل في الإيمان. ولكنه مِثل الفطري قد يزداد ويتأصل في نفس المرء حتى يكون خصلة وخلقا فيه بلا تكلف، أو ينقص حتى يذهب عنه ما اكتسبه من تربيته ودينه، وقد ينقلب حاله.

يقول القرطبي: «الحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الإيمان غير أن المرء الذي فيه غريزة الحياء فإنها تعينه على الحياء المكتسب، وقد يتطبع بالحياء المكتسب حتى يصير غريزياً»

ولا يصل الحياء المكتسب أن يصل إلى أن يكون غريزيا إلا إذا تخلّق به المرء على الدوام، ويكون ملازما له على الدوام، فعندئذ تتطبع به النفس حتى يصدر عنها بلا سابق تفكير، وهذا هو الحياء الإيماني الذي يجب أن يبتغيه كل مؤمن في دينه، وتلك هي الدرجة التي حث عليها الشرع في طلبها، وذلك هو الحياء الذي هو خلق الإسلام.

ولكن تلك الدرجة لا ينالها المرء حتى يحفظ كل أعضائه التي أمره الله بحفظها، وأن يعيش مستعدا للقاء الله وللدار الآخرة فيترك زينة الحياة الدنيا، ويلتزم التقوى في كل أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته.

وهذا الذي أراد النبي ﷺ أن يعلمه للصحابة حين قال في الحديث السابق: **(اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ.....)**[٢٤].

وقد قسّم العلماء الحياء حسب المُستَحى منه إلى أنواع أخرى:

وهي الحياء من الله، والحياء من الناس والحياء من النفس، وبعضهم زاد عليهم الحياء من الملائكة. وهذه الأنواع هي مدار الحياء المكتسب الذي ينبغي أن يُريد به المؤمن تزكية نفسه ابتغاء وجه الله، وهي تجمع الدين كله.

٢٤ الراوي: عبدالله بن مسعود-صحيح الترمذي-أبواب صفة القيامة والرقائق والورع- حديث رقم ٢٤٥٨.

الحياء من الله

ورد في الأثر، يقول الله عز وجل: (**ما أنصفني عبدي.. يدعوني فأستحي أن أرده، ويعصيني ولا يستحي مني**)[٢٥]

أمَا يستحي العبد من ربٍ يستحي أن يرده؟!... أما يستحي العبد من رب يراه ويسمعه ويراقبه؟!

يقول الله تعالى:{ **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى** }(العلق:١٤)، ويقول تعالى:{ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** }(النساء:١).

أمّا حياء المؤمن من ربه فلا يستطيع أن يشعر به أو يتخلق به إلا مَنْ شعر بمعيته سبحانه وتعالى في كل حين، وأنه تعالى يراه ويسمعه على الدوام، وأنه تعالى أقرب إليه من حبل الوريد.

يقول ابن القيم: (فإن العبد متى علم بنظر الله إليه، ومقامه عليه، وأنه بمرأى منه، ومسمع، وكان حيياً، استحيى من ربه أن يتعرض لمساخطه) بل أقول؛ بل يستحي المؤمن فوق ذلك أن يرى الله منه ما يكرهه، ويستحي أن يترك من الأفعال ما يحبها الله عز وجل.

فإذا عبَدَ المؤمنُ ربه وهو يوقن أنه يراه ويسمعه فعندئذ تنقبض نفسه عن كثيرٍ مما يقع فيه الناس حياءً من الله. ويستحي من الله أن يراه الله على أمر يكرهه سبحانه، فضلا عن أن يأتي من المحرمات ما قد نهى الله عنها.

---

٢٥ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- -لابن القيم- فصل في منازل إياك نعبد- فصل تعريف الحياء- ج٢/ ص ٢٤٩.

ومن استحى من الله استحى أن ينشغل عنه بالحياة الدنيا، وتذكَّرَ يوم لقائه ويوم يقف بين يديه فيسأله عن نعمه وآلائه عليه، ويسأله عن أوامره ونواهيه، ومن استخفَّ بالأوامر والنَّواهي الشرعية، دل ذلك على عدم إجلالِه لربه، وعدم حيائِه منه ونسيانه لربه جلَّ وعلا.

ومن استحيا من الله حَفِظ جوارحَه كلها وسمعه وبصره ولسانه، وجعلها كلها لله فلا يرى الله منها إلا خيرا.

فحق الحياء من الله وتصديقه بالفعل وليس بالقول، كما جاء في الحديث السابق الذي قال فيه النبي ﷺ:(**ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وَعَى، والبطن وما حَوَى، ولْتذْكر الموت والْبِلَى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء)**

و "**أن تحفظ الرأس**" يعني أن لا تسجد لغيره، ولا ترفعه تكبراً، "وما وعى" أي ما جمعه الرأس من العقل واللسان والعين والأذن، فلا يفكر المرء بعقله إلا فيما يرضي الله، ولا ينظر إلى ما يغضب الله، ولا يسمع ما يكرهه الله، وأن تأتي بهم جميعا ما يحبه الله عز وجل.

و"**أن تحفظ البطن**" يعني عن أكل الحرام، و"ما حوى" أي: ما اتصل اجتماعه به من الفرج والرجلين واليدين والقلب، فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف، وحفظها بأن لا تستعملها في المعاصي، بل في مرضاة الله تعالى.

قال بعض السلف: خَفِ الله على قَدْرِ قُدْرته عليك، واستحي منه على قدر قُرْبِه منك!!

عن سعيد بن يزيد الأَزْدِيّ، أنه قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: (**أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تَسْتَحِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ**) [٢٦].

وهذا الحديث إنما هو لتقريب معنى الحياء من الله، فالله أجل وأحق أن يُستحيا منه، ومن عرف ذلك فإن العبد يرتقي في حيائه حتى يدع ما لا يُلام عليه ولا يعاتبه عليه أحد من الناس؛ مثلما كان يفعل أبو بكر الصدّيق؛" يقول: استحْيوا من الله فإنِّي أذهب إلى الغائط فأظلُّ متقنِّعًا بثوبي حياءً من ربي." ومثل أبي موسى، كان إذا اغتسلَ في بيت مظْلِم لا يُقيم صلبَه حياءً من الله – عز وجل.

ومن الحياء من الله حياء العبد من نعمه وآلائه عليه ألا ينفقها في طاعته؛ فإن أعطاه الله مالا استحى من الله ألا ينفقها في سبل الخير، وإنْ لم تكن تلك السبل واجبة عليه، وإن أعطاه قوة وصحة بذلها لكل مسلم يحتاج لمساعدته، وإذا أعطاه علما استحى من الله ألا يعلم كل مسلم ما علمه الله، وإن أعطاه الله فراغا استحى ألا يذكر الله في فراغه.

ومن الحياء من الله، حياء العبد من تقصيره في حقه مع نعم الله وآلائه عليه، وإذا استشعر العبد فعلا تقصيره في حق الله مع عظيم ستره واستغراقه في نعم الله تربى داخله حياء يكون من أعظم العبادات القلبية.

---

٢٦ المعجم الكبير للطبراني- باب السين- سعيد بن يزيد الأزدي-حديث رقم ٥٥٣٩ - ورواه الإمام أحمد في " الزهد "

ورد في الأثر؛ يقول الله عز وجل: ابن آدم.. إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك.. وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك.. ومحوت من أم الكتاب زلاتك.. وإلا ناقشتك الحساب يوم القيامة.

عن عبيد بن عمير قال: آثروا الحياء من الله، على الحياء من الناس.

أمّا الذي يستحى من الناس ولا يستحي من الله فذلك لعدم معرفته بالله، فالإنسان يستحيي ممن يعرفه ويعظمه، ويعلم أنه يراه أو يسمع نجواه، ومن لا يعرف الله حق معرفته فسيغفل عنه وينسى أنه مطلع عليه، وكيف حينئذ يعظمه ويستحي منه؟

وإذا كان المرء في خلواته مراقبا لله كما هو في علانيته فهو أقرب إلى الإخلاص. أما إذا كان يفعل في السر ما يستحي منه في العلانية فهو أبعد عن الحياء من الله، وإذا كان يعصي الله سرا وعلانية ولا يستحي من الناس فذلك هو أشر الناس ولا خير فيه.

ويتبع الحياء من الله ، الحياء من ملائكته، فهم ثاني أركان الإيمان، وهم دليل أيضا على إيمان العبد بالله لأنهم من الغيب الذي أخبر به في كتابه بقوله تعالى :**{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}**(الانفطار:١٠- ١٢).

قال بعض الصحابة: إن معكم مَن لا يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرموهم.

قال ابن القيم رحمه الله: أي استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجلُّوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه مَن هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو

آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، فما الظن بإيذاء الملائكة الكرام الكاتبين؟!"

كان أحدهم إذا خلا يقول: أهلاً بملائكة ربي...لا أعدمكم اليوم خيرًا، خذوا على بركة الله، ثم يذكر الله تعالى.....

الحياء من النفس

هو حياء النفوس العزيزة، وهو يظهر في أفعال المرء فيما بينه وبين نفسه لنفسه، وتلك هي الدرجة الثانية من الحياء. فإذا كبرت عند العبد نفسُه فسيكون استحياؤه منها أعظم من استحيائه من غيره صيانة لها من القبائح ومما يُستحي منه.

وكان ذلك معروفا حتى في الجاهلية؛ فمن الناس من حرّم الخمر على نفسه حياء وتكرما لنفسه مما تفعله بشاربها من سكر وهذيان يدفعه لقبائح الأفعال ومما يخرم مروءة الرجل.

كان عثمان بن مظعون ممن حرّم الخمر في الجاهلية على نفسه وقال: لا أشرب شرابا يذهب بعقلي ويضحك بي من هو أدنى مني، وأزوج كريمتي من لا أريد.

ويقول أصدقُ الأمة حياء عثمان بن عفان– ﷺ: ما تغنيت ولا تفتيت ولا شربت خمرا في جاهلية ولا إسلام.

وكانت العرب في الجاهلية وصدر الإسلام يشتدون على النساء في شرب الخمر حتى ما يُحفظ أنَّ امرأة شربت ولا أنَّ امرأة سكرت. ولذلك لم يكن شرب الخمر معروفا في النساء إلا الغانيات، لأن الخمر سيدفع بالمرأة إلى ما لا يحمد عقباه في حيائها، وقد تأتي من الأفعال ما يفضحها ويشينها.

ومن استحى من الناس ولم يستحي من نفسه: فنفْسه عنده أقل من غيره وليست نفسه عنده بعظيم، ومن استحى منها ولم يستح من الله: فلعدم معرفته بالله وعظمته، فالإنسان يستحي مما هو عظيم في قلبه.

قال بعض السلف: "من عمل في السر عملاً يستحيي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر."

لذلك فالحياء من النفس لا يكون إلا فيمن سمت نفسه عنده، وكانت نفسا كريمة لا تقبل الصغائر على نفسها فضلا عن الكبائر.

الحياء من الناس

هرقل عظيم الروم، لما جاءه خطاب النبي صلوات الله وسلامه عليه يدعوه إلى الإسلام ؟ أراد أن يسأل أحدا عن النبي ويكون من قريش لأنهم قومه وهم أعلم الناس به، فأُتى بـ أبي سفيان مع جماعة من العرب كانوا في ذلك الوقت في تجارة بالشام، وكانوا يومئذ على الكفر، فجعل هرقلُ أبا سفيان أمامهم لأنه كان أقرب الناس نسبا لرسول الله فيهم، وجعل وراءه الناس من العرب وقال: إذا كذب فأخبروني، فسأله عن النبي ﷺ فصَدَقه في كل ما سأل عنه مع أنه كان حينها عدوا لرسول الله ﷺ!!

يقول أبو سفيان بعدما أسلم وحدث بهذا الحديث: (**فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ.** [٢٧]).

فاستحى أبو سفيان وهو على الكفر حينها من الناس أن يقولوا كذب أبو سفيان، وقد كان الكذب معرة عندهم في الأشراف.

والحياء من الناس هو أدنى درجات الحياء. فالمسلم ينبغي له أن يستحي من الناس، فلا يُقَصِّر في حقٍ وجب لهم عليه، ولا ينكر معروفًا صنعوه معه، ولا يخاطبهم بسوء، ولا يكشف عورته أمامهم، ولا يجهر بالسوء والمعصية فيهم، ويستر مساوئه عنهم حياء منهم.. ولكن هناك فرق من أن يفعل المسلم شيئا أو يترك شيئا حياء من الناس؛ فذلك من مكارم

٢٧ الراوي عبدالله بن عباس عن أبي سفيان -صحيح البخاري- بدء الوحي- كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ -حديث رقم ٧.

الأخلاق ومن حسن الخلق الذي أمر به الشرع، وبين أن يفعله أو يتركه مراءاة لهم وخوفا منهم.

رُوى أن حذيفة بن اليمان أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا، فتنكب الطريق عن الناس (أي ابتعد عن طريقهم واتخذ طريقا آخر)، وقال: لا خير فيمن لا يستحي من الناس.

قال مجاهد: "لو أن المسلم لم يُصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفاه."

فالحياء من الناس خلق مطلوب حتى للعصاة، فعدم الحياء من الناس يعني التطبع بمساوئ الأخلاق، والتجرؤ بالمعصية والعلانية بها بينهم، وإتيان الفواحش جهارا بلا تأنيب ضمير، وهؤلاء أبعد الناس عن رحمة الله. وهؤلاء يقول فيهم رسول الله ﷺ: **كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ**.[٢٨]

فالذي يستحي من الناس ما زال فيه خير يُرتجى، ولعله يتوب ويرجع إلى الله ويتوب عما يفعله سرا. ويكفي خيرا في الذي يستحي من الناس ألا يكون قدوة في الشر، وداعيا إلى المعاصي بسوء خلقه وفعاله.

قال الفضيل بن عياض: خمس علامات من الشقاوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل.

٢٨ الراوي : أبو هريرة-أخرجه البخاري، -كتاب الأدب، -باب ستر المؤمن على نفسه- حديث رقم: (٦٠٦٩)

عن سفيان ابن عيينة قال: قال لقمان: خير الناس: الحيي، الغني؛ قيل: الغنى في المال؟ قال: لا، ولكن: الذي إذا احتيج إليه نفع، وإذا استغنى عنه نفع؛ قيل: فمن شر الناس؟ قال: من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً.

من حياء الصالحين والسلف

خير ما نبدأ به لنبين ما هو الحياء والمروءة هو ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم عن امرأتين كانتا في غاية الحياء والستر. وكانت المرأتان قد خرجتا ليسقيا من الأنعام ما يملكانه، فوجدا الرعاة يسقون أنعامهم، فوقفا بعيدا عنهم ينتظرونهم حتى ينتهوا، فنظر إليهما موسى عليه السلام الذي كان قد فر هاربا من فرعون، وهو على ما فيه من البلاء والفقر والحاجة فقال لهما: ما خطبكما؟ (وكأن خروج المرأة للعمل أمر غريب لا يكون إلا بسبب خَطْبٍ يدعو لذلك) فقالتا معتذرتين وباختصار (**لا نسقي حتى يُصدر الرعاء، وأبونا شيخ كبير**) فكفاهما موسى عليه السلام ما خرجا من أجله وسقا لهما، ثم تولى بعيدا عنهما. فبعث أباهما إحداهما إليه، فانظر كيف وصفها القرآن الكريم: (**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا**ۚ) (القصص–من الآية ٢٥)

فتلك قصة تمتلئ حياء ومروءة من كل جوانبها؛ من المرأتين، ومن موسى عليه السلام الذي قال عنه الله سبحانه وتعالى(**فسقى لهما ثم تولى إلى الظل**) مبتعداً عنهما، تاركهما وشأنهما بعد أن كفاهما ما خرجا إليه.

–ومن الحياء حياء أبينا آدم عليه السلام؛ رُوي في الأثر أنه لمّا أكل من الشجرة ظل يجري في الجنة. فقال الله تبارك وتعالى: (**أَفِرَارًا مِنِّي يَا آدَمُ؟ قَالَ: بَلْ حَيَاءً مِنْكَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مِمَّا جِئْتُ بِهِ**).[٢٩]

٢٩ مكارم الأخلاق للخرائطي، باب فضيلة الحياء وجسيم خطره- حديث رقم 310

-أما عن حياء رسول الله ﷺ والذي كان أشدَ حياء من العذراء في خدرها، فعن سفيان بن عيينه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن امرأة جاءت تسأل النبي ﷺ: (**كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضَتِهَا؟ قَالَ : فَذَكَرَتْ أَنَّهُ عَلَّمَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ. ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرُ بِهَا .قَالَتْ :كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا؟ قَالَ» : تَطَهَّرِي بِهَا سُبْحَانَ اللهِ « وَاسْتَتَرَ – وَأَشَارَ لَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ – قَالَ :قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاجْتَذَبْتُهَا إِلَيَّ وَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .فَقُلْتُ :تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ**) [٣٠].

فانظر إلى شدة حياء رسول الله ﷺ في أنه لم يستطع أن يصرح للمرأة أكثر من ذلك في كيفية طهارتها من حيضتها، ولما رأت عائشة رضي الله عنها شدةَ حياء رسول الله ﷺ اجتذبت المرأة السائلة إليها ولم تصرح هي الأخرى، وقالت لها تتبعي بها أثر الدم.

("تتبعي بها أثر الدم" قال العلماء تعني الفرج)

-ومن حيائه ﷺ ما رواه أسامة بن زيد عن أبيه قال : (**كَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً مِمَّا أَهْدَاهَا لَهُ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ، فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي فَقَالَ ﷺ: مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ الْقُبْطِيَّةَ قُلْتُ: كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي فَقَالَ : مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلَالَةً، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ عِظَامَهَا**)[٣١]. ولم يقل صلى الله عليه وسلم أن تصف حجم فخذها أو ساقيها أو أي كلمة أخرى تخدش الحياء...

-ومن حيائه وكرمه ﷺ أنه دعا أصحابه إلى وليمةٍ عند زواجه بزينب رضي الله عنها، فجلسوا وأطالوا الجلوس، حتى قام واستحيا أن يقول لهم: انصرفوا. وهذا الحياء هو حياء الكرم، فنزل في

---

٣٠ صحيح مسلم-كتاب الحيض - باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم- حديث رقم ٦٠/٣٣٢)

٣١ مسند أحمد مخرجا- تتمة مسند الأنصار -حديث أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ- حديث رقم 21788

ذلك قول الله تعالى: {..فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ..} (من الآية ٥٣- الأحزاب)

-وأكثر من اشتَهر بالحياء من الصحابة عثمان بن عفان ﷺ، ولأجْلِ عِظَم هذه الخصلة الحميدة فيه، كانت الملائكة تستحيي منه ما لا تستحيي من غيره، وكان رسول الله يستحي منه ما لا يستحي من غيره، ومن أجل شدة حيائه ﷺ لم يأمر الصحابة وأهل المدينة بأن يقاتلوا من خرجوا عليه في الفتنة، ونهاهم أن يدافعوا عنه!، حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون هو أول من أمر بالسيف في أمته، وقد كان قادرا عليهم بمن معه من الصحابة، ولكنه تركهم حتى قتلوه، وكل ذلك حياء من رسول الله ﷺ!!!.

-ومن الحياء حياء علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، حينما استحيا أن يسأل النبي الكريم عن المزي بعدما تزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ و ﷺ، فاستحيا أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه أمر متعلق بابنته، فبعث من يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلا منه عن حكم المزي.

(وهذا الحياء من علي ﷺ هو حياء الحشمة الذي افتقدناه حديثا، ولم يعد أحد يسمع عنه في أيامنا هذه. وبسبب فقدانه تجد بعض الناس في مثل هذه الأحوال يسأل أو يحكي صراحة عن أمور خاصة دون كناية بين أهله وأقربائه وأصهاره وأمام النساء. وقد كان هذا الحياء من زمن قريب معروفا بين الناس، حتى يقول أحدهم لمن يفعل أو تفعل ذلك: احتشم، أو احتشمي).

-وأما عمرو بن العاص القائد العسكري الفذ الذي كانت مهمته الأولى القتال والنزال، واشتهر بالمكر والدهاء فيقول: (**فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا رَاجَعْتُهُ بِمَا أُرِيدُ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيَاءً مِنْهُ**)[٣٢]

-وانظر إلى أم سلمة ﵂ وهي تراجع رسول الله ﷺ وحرصها على ألا يبدو من النساء شيءٌ حتى أقدامهن، عندما نهى رسول الله ﷺ عن أن يطول الثوب حتى يُجر على الأرض.

عن ابن عمر -﵄- قال: قال رسول الله ﷺ- (**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ«، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ :فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: يُرْخِينَ شِبْرًا، فَقَالَتْ: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ» :فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا، لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ**) [٣٣].

يقول الرسول -ﷺ- لأم سلمة : «يرخين شبرًا»، ولكنَّها تراجعه ولا ترضى ﵂ أن يرخى الثَّوب شبرًا يجرجر في الأرض؛ لأنه قد لا يكفى لستر أقدامهن!!.

-عن عروة ، عن عائشة قالت : (**جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ تَبَايَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ عَلَيْهَا أَنْ { لَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ }(الممتحنة من الآية: ١٢)، قَالَتْ :فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا حَيَاءً، فَأَعْجَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَى مِنْهَا، فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ :قَرِّبِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، فَوَاللَّهِ مَا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَى هَذَا، فَبَايَعَهَا بِالْآيَةِ**) [٣٤]

---

٣٢ مسند أحمد مخرجا- مسند الشاميين بقية حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ- حديث رقم **17813**

٣٣ الرواي عبدالله بن عمر- سنن التِّرمذي -أبواب اللباس -باب ما جاء في جر ذيول النساء -١٧٣١

٣٤ الراوي عائشة بنت الصديق- صحيح بن حبان في صحيحه حديث رقم ٤٥٥٤.

وقد استحت المرأة لما سمعت اللفظ فقط (يزنين) حتى وضعت يدها على رأسها من شدة حيائها، وقد أُعجبَ رسولُ الله ﷺ بشدةِ حيائها.

-عن أم المؤمنين عائشة – رضِي الله عنْها – قالت: "كنتُ أدخل البيت الَّذي دُفن فيه رسولُ الله وأبي وأضع ثوبي، وأقول: إنَّما هو زوجي وأبي، فلمّا دُفِن عمر، والله ما دخلت إلاَّ ومشدودة عليَّ ثيابي حياءً من عمر" !!

-امرأة كانت قد فقدت طفلها فوقفت على قوم تسألهم عن طفلها، فقال أحدهم: تسأل عن ولدها وهي منتقبة!! (وكأنه تعجب من انتقابها مع هول مصيبتها) فسمعته فقالت: لأن أُرزأ في ولدي خير لي من أُرزأ في حيائي أيها الرجل.

فالمرأة في الحقيقة قطعة من الحياء والرقة، فإذا فقدت المرأة حياءها؛ فقدت كلَّ شيء، وفعلت أي شيء.

ومثل هؤلاء اللاتي ذكرت؛ مَنْ يقدر على نزع حجابَهن عنهن ولو أغراهن بكل المغريات ؟!!

-المجاهد العظيم نور الدين محمود سأل الله النصر في إحدى معاركه، لكن استحيا وقال: من أنا؟ فقال: يا رب من هو الكلب نور الدين حتى تنصره؟ انصر دينك، فاستصغر طلب النصر لذاته، وهذا الحياء هو حياء الاستصغار.

قال الجرَّاح الحكمي: (تركت الذُّنوب حياءً أربعين سنة، ثم أدركني الورع).

-رُوِي أنَّ عمرو بن عتبة بن فرقد كان يُصلِّي ذات ليلة، فسمعوا صوت الأسد، فهرب مَن كان حوله، وهو قائم يصلِّي فلم ينصرف، فقالوا له: أما خفت الأسد؟ فقال: إنِّي لأستحي مِن الله أن أخاف شيئًا سواه.

-قال جعفر الصَّانع: كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل، رجل ممَّن يمارس المعاصي، فجاء يومًا إلى مجلس أحمد يسلِّم عليه، فكأن أحمد لم يردَّ عليه ردًّا تامًّا وانقبض منه، فقال له: يا أبا عبد الله! لمَ تنقبض منِّي؟ فإنِّي قد انتقلت عمَّا كنت تعهدني برؤيا رأيتها. قال: وأيُّ شيء رأيت؟ قال: رأيت النَّبيَّ ﷺ في النَّوم كأنَّه على علوٍّ مِن الأرض، وناس كثير أسفل جلوس، قال: فيقوم رجلٌ رجلٌ منهم إليه، فيقول: ادْع لي! فيدعو له حتى لم يبق مِن القوم غيري، قال: فأردت أن أقوم فاستحييت مِن قبيح ما كنت عليه، قال لي: يا فلان! لم لا تقوم إلي فتسألني أدعو لك؟ قال: قلت: يا رسول الله! يقطعني الحَيَاء لقبيح ما أنا عليه. فقال: إن كان يقطعك الحَيَاء فقم فسلني أدْع لك، فإنَّك لا تسبُّ أحدًا مِن أصحابي. قال: فقمت، فدعا لي، فانتبهت وقد بغَّض الله إليَّ ما كنت عليه. قال: فقال لنا أبو عبد الله: يا جعفر، يا فلان، حدِّثوا بهذا واحفظوه فإنَّه ينفع.

-أقبل رجل إلى إبراهيم بن أدهم، فقال: يا شيخ ! إن نفسي تدفعني إلى المعاصي فعظني موعظة.

فقال له إبراهيم : إذا دعتك نفسك إلى معصية الله فاعصه – ولا بأس عليك – ولكن لي إليك خمسة شروط، قال الرجل : هاتها .

قال إبراهيم : إذا أردت أن تعصي الله فاختبئ في مكان لا يراك الله فيه، فقال الرجل: – سبحان الله – كيف أختفي عنه ؟ وهو لا تخفى عليه خافية.

فقال إبراهيم : – سبحان الله – أما تستحي أن تعصي الله وهو يراك.

فسكت الرجل ثم قال : – زدني – فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصي الله فلا تعصه فوق أرضه فقال الرجل: – سبحان الله – وأين أذهب ؟ وكل ما في الكون له.

فقال إبراهيم : أما تستحي أن تعصي الله وتسكن فوق أرضه ؟

قال الرجل : – زدني – فقال إبراهيم : إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزقه،

فقال الرجل : – سبحان الله – وكيف أعيش ؟ وكل النعم من عنده.

فقال إبراهيم : أما تستحي أن تعصي الله وهو يطعمك ويسقيك ويحفظ لك قوتك.

قال الرجل : – زدني – فقال إبراهيم : فإذا عصيت الله ثم جاءتك الملائكة لتسوقك إلى النار فلا تذهب معهم، فقال الرجل – سبحان الله – وهل لي قوة عليهم ؟ إنما يسوقونني سوقاً.

فقال إبراهيم : فإذا قرأت ذنوبك في صحيفتك فأنكر أن تكون فعلتها.

فقال الرجل : – سبحان الله – فأين الكرام الكاتبون ؟ والملائكة الحافظون ؟ والشهود الناطقون ؟ ثم بكى الرجل ومضى وهو يقول : أين الكرام الكاتبون ؟ والملائكة الحافظون؟ والشهودالناطقون؟

-لما احتُضر الأسود بن يزيد بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: ما لي لا أجزع؟ ومَن أحقُّ منِّي بذلك؟ والله لو أُتيت بالمغفرة مِن الله لأهمَّني الحَيَاء منه ممَّا قد صنعت، وإنَّ الرَّجل ليكون بينه وبين الرَّجل الذَّنْب الصَّغير، فيعفو عنه، ولا يزال مستحييًا منه.

-وقف الفضيل بن عياض بعرفة والناس يدعون، وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة، قد حال البكاء بينه وبين الدعاء، فلما كادت الشمس أن تغرب رفع رأسه إلى السماء وقال : واخجلاه منك وإن عفوت.

-يقول مُحَمَّد بن سيرين: إني أرى المرأة في المنام فأعرف أنها لا تحل لي فأصرف بصري عنها!!.

-وكان الرَّبيع بن خُثَيم من شدَّة غضه لبصره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى، وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة، فإذا رأته جاريته قالت لابن مسعود : صديقك الأعمى قد جاء، فكان يضحك ابن مسعود من قولها، وكان إذا دقَّ الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقًا غاضًّا بصره.

وهكذا ينبغي أن يستحي الإنسان من أهله وأصدقائه وأفراد مجتمعه، فلا يقول أو يفعل إلا ما يرضي الله ورسوله، أو ينظر إلا إلى ما يرضي الله ورسوله، أو يسمع إلا ما يرضي الله ورسوله.

حالنا اليوم

إن لم تستح فاصنع ما شئت

عن أبي مسعود ﷺ قال: قال النبي -ﷺ-: (**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ**) [٣٥]

هذا هو حالنا اليوم، إنه حال من فقد الحياء إلا مَن عصمه الله، بل إن حال بعض الناس اليوم لا تستقيم معه موعظة رسول الله ﷺ الذي قال فيها لأحد أصحابه: (**أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَسْتَحْيِي رَجُلًا مِنْ صَالِحِي قَوْمِكَ**)[٣٦]. لأنهم أساسا لا يستحون من الناس كلهم، ويجاهرون بالمعاصي أمام أعينهم، حتى إنهم ليجاهرون بما ستره الله عليهم من أقبح المعاصي فيتفاخرون بها أمام الناس، وأصبح هذا التفاخر منتشرا وخاصة بين الشباب والفتيات فيما بينهم، فلا يستحي أحدهم أن يقول أوقعت بفلانة، ولا تستحي إحداهن أن تقول كلمت فلانا، وخرجت مع فلان، وأوقعت فلانا في هواي.

لقد كانت المرأة تستحي فيما مضى أن يراها أحدُهم وهي تكلم رجلا خلسة ليس لها بمحرم من وراء حجاب، فأما اليوم فلا تستحي إحداهن أن تقابل شابا في أماكن عامة وأمام أعين الناس في وضع لا أقول يتصف بقلة الحياء بل معدوم الحياء، ولا تستحي أن تسمح له بأن تمتد يدُه إليها، وتشاركه الضحكات العالية أمام الناس.

---

٣٥ صحيح البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء - باب حديث الغار- حديث رقم ٣٤٨٤

٣٦ الراوي: سعيد بن يزيد الأنصاري- مكارم الأخلاق للخرائطي - باب فضيلة الحياء وجسيم خطره- حديث رقم 309

لقد كانت المرأة فيما مضى تستحي أن تخرج ليلا وهي بحجابها إلا لضرورة، وإذا خرجت ليلا لا تخرج إلا مع ذي محرم، لأن هذا لا يليق بكمال حيائها وسمعتها، وأما اليوم فهي تخرج وحدها نهارا وليلا بلا مبالاة.

لقد كان الرجل فيما مضى يستحى أن تخرج زوجته أو ابنته بلباس ضيق فيزجرها على ذلك، وأما اليوم فلا يستحي أحدهم أن تتعرى زوجته أو ابنته على الشواطئ.

ولقد كانت المرأة فيما مضى تستر قدميها حياءً، وأما اليوم فقد وصل الحال إلى أن بعضهن يخرجن كاسياتٍ كالعاريات من ضيق لباسهن، وأحيانا عاريات الأذرع والسيقان، وقد وصل الفسق ببعضهن إلى أن تُظهر ظهرها وجَيبَها وهي لا تستحي من أحد، ولا تأبه لملامة من أحد، أو لنظرة شهوةٍ من أحد.

فحالنا اليوم حال من فقد الحياء فهو يصنع ما يشاء إلا من حفظه الله.

وقد وصل انحسار الحياء إلى من يقال عنهم أنهم ملتزمون أو متدينون، فرأيت أحدَهم وهو يأخذ بيد زوجته وهي بلباسها ونقابها ويُنزلها البحر والرجال من حولهم قريبين جدا، بل رأيت منتقبات يَنزلن وحدهن وسط الناس تظن إحداهن أنها ما دامت بنقابها وجلبابها وماء البحر يستر جسمها فلا عيب في ذلك ولا خدش حياء، ونسوا جميعا أن ذلك ليس من الحياء، وكل ذلك لأن العلماء عندما يتكلمون عن الحياء فهم لا يتكلمون عن الحياء، بل يتكلمون عن قلته ومظاهر انحساره في الناس، وشتان بين هذا وذاك.

ولكي أوضح المراد أكثر: هل يعني أن إنسانا لا يؤذي الناس ويُمسكُ شرَّه عن الناس أنه من أحسن الناس خلقا ومبادرةً إلى الخيرات ومن السابقين إليها.

فهناك فرق بين أن نتكلم عن علامات النجاح وحسن الخلق وندعو إليها، وبين أن نتكلم عن علامات السقوط وسوء الخلق ونحذر منها. فالتحذير من السقوط وسوء الخلق لا يعني أن يكون الإنسان بعدها ناجحا بأعلى الدرجات ومتخلقا بأحسن الأخلاق.

وهذا الفرق هو الذي يوضح ما قد يتعجب منه أحدنا حين يسمع أن عائشة أم المؤمنين ﵂ كانت تدخل على رسول الله ﷺ وأبيها بعد موتهما بغير حجاب، فلما مات عمر ﵁ ودُفن بجانبهما لم تدخل عليهم إلا وهي شادة عليها ثيابها حياء من عمر الذي هو ميت ومدفون تحت التراب!!!.

وهذا الفرق هو الذي لم ينتبه له الدعاة والعلماء حين كانوا يعرفون الحياء فاقتصر تعريفهم له على أدنى درجة منه حتى تناقصت شدته في الناس رويدا رويدا عبر السنين والأجيال حتى كاد يضيع الحياء منهم.

كيف نزرع خلق الحياء في المجتمع

لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لم يكن للوصايا معنى، وإذا لم يكن بالإمكان تزكية النفس لبطلت فائدة المواعظ. وإن النفوس الشريفة لا ترضي من الأشياء إلا بأعلاها، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **(فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ)**[٣٧]

ومن كان يطلب شيئا فعليه أن يطلبه بحقه، وإلا كان مستهترا أو جاهلا. قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ)**[٣٨]

وإن كل شيء في أوله يحتاج إلى تكلّف، والنفس كالحصان البرّي، يأبى أن يمتطيه بشر حتى يُروضَ مرة بعد مرة بعد مرة حتى يأنس بصاحبه، ثم يكون له بعد ذلك أطوع ما يكون؛ والنفس كذلك.

عن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ)** [٣٩].

وإن الصلاة والصيام وسائر العبادات ما شُرعت إلا لتزكية النفس من أدرانها والارتقاء بمحاسنها، وهذا هو مصداق قول الله تعالى: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى، وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّى}** (الأعلى: ١٤،١٥)، وقوله تعالى: **{ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا }** (الشمس: ٩)

---

٣٧ الراوي : أبو هريرة | المصدر : صحيح البخاري-كتاب التوحيد-باب (وكان عرشه على الماء) حديث رقم ٧٤٢٣

٣٨ الراوي: ابوهريرة- سنن الترمذي- أبواب صفة القيامة والرقائق والورع - حديث رقم ٢٤٥٠

٣٩ الراوي: أبو الدرداء- المعجم الأوسط للطبراني-باب الألف-باب من اسمه ابراهيم-حديث رقم٢٦٦٣

وأهم وأول وسيلة يتخذها المرء لتزكية نفسه هو الدعاء ثم الدعاء ثم الدعاء، فليس أحد أفضل من رسول الله ﷺ الذي كان يقول في دعائه: (**وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ....**)[٤٠].

فالغاية من الصلاة والصيام وسائر العبادات إنما هو تزكية النفس، وهذه الغاية من العبادة ينبغي ألا تغيب عن قلب كل مؤمن، فلا يكن همه فقط في العبادات تحصيل الحسنات، دون الانتباه للغاية التي شرعت من أجلها العبادة، وهي تزكية النفس وتحليها بكل جميل.

وتزكية النفس تحتاج الى مجاهدتها والصبر عليها، كما قال الله تعالى:(واستَعينُوا بالصبرِ والصلاةِ وَإنَّها لكبيرةٌ الَّا عَلَى الخَاشِعِينَ) (البقرة: ٤٥).

وخلق الحياء هو خلق الإسلام كما أخبرنا رسول الله ﷺ، بما يعني أنه الخلق الذي ينبغي أن يتحلى ويتخلق به كل مسلم ومسلمة.

والتحلي بالحياء ليس صعبا لأن الأنفس مفطورة وأصل الحياء فيها غريزي، وقد جعله الله في كل البشر. فلذلك فالتخلق به أيسر ما يكون على النفس إذا طلبته وحرصت عليه.

ومن الوسائل الأكيدة في التحلي أو الحفاظ على خلق الحياء هو مجالسة الفضلاء وأصحاب المروءات، ومفارقة السفهاء، وسيئي الخلق من الناس.

---

٤٠ الراوي:علي بن أبي طالب- صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين وقصرها-باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه-، حديث رقم(٢٠١/٧٧١)

قال بعض الحكماء: «أحيو الحياء بمجالسة من يُستحيا منه» وقال آخر «ضياع الحياء بمجالسة السفهاء»

لأن كثرة مجالسة من لا يُستحيا منه لوضاعته أو حقارته أو قلة قدره ومروءته تخلق في النفس نوع التجانس معهم، ثم إن قلة قدرهم عنده تجعله لا يَستحي منهم فيصنع ما يشاء بحضرتهم، فتضعف عنده خصلة الحياء شيئًا فشيئا حتى يأتي من الأعمال ما كان يَستعيبها من قبل. وقد قال رسول الله ﷺ (**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**)[٤١]

أما مجالسة من يُستحيا منه لصلاحه وعلو قدره، فإنها تحيي في القلب الحياءَ فيظل الإنسان يراقب أفعاله وأقواله قبل صدورها حياءً ممن يجالسه، فيكون هذا خُلقًا له ملازمًا، فتعتاد نفسه إتيان الخصال المحمودة ومجانبة الخصال المذمومة وكراهيتها.

كما يجب أن يتخذ العلماء الحياء شعارا ودرسا دائما في محاضراتهم وخطبهم لا يملوا من ذلك، فأكبر حاجز يعوق أهل الفتن عن فتنة المجتمع المسلم هو حاجز الحياء، ولذلك فإنهم يعملون أول ما يعملون على إضاعة الحياء في المجتمع المسلم بشتى الوسائل قبل أن يبثوا سموم أفكارهم.

وإن على الدعاة أن يفقهوا أن الحياء ليس هو ستر عورة المرأة، فهو فقط من علاماته، ولكن ليس دليلا على وجوده، فقد تستتر المرأة ولا حياء تحت لباسها، وإنما لبسته لغلبة المجتمع عليها، فمثل هذه لو وجدت فرصة لِخَلْعِهِ لَخَلَعَتْه، وقد كان يحدث ذلك عندما

٤١ الراوي: أبو هريرة- سنن الترمذي-أبواب الزهد- حديث رقم ٢٣٧٨. وأخرجه أبو داوود-كتاب الأدب-حديث رقم ٣٨٣٣.

تسافر إحداهن بعيدا عن ديارها فتتخفف من بعض ثيابها وقد يكون معها زوجها وأباها، وكل ذلك لأن الحياء فيهم غير موجود. على عكس ما كان آباؤهم وأمهاتهم الذين كانوا على أشد الستر ولو سافروا إلى بلاد الغرب، ولا تستطيع أحداهن من حيائها أن تُظهر شيئا من جسمها. وقد اشتكى العلماء من شدة تعري النساء إذا اختلطوا ببعضهن في الأفراح أو في الأندية، وما علموا أن علاج ذلك أوله في الحياء وليس في الأحكام، فما نفع الأحكام في أمة الإسلام إذا ضاع خُلقُها.

ومما ينبغي بشدة أن ينتبه له العلماء هو أن الحياء للرجال لا تقل أهميتهُ عنه في النساء، فإن الرجال إذا تخلقوا بالحياء كان النساء قطعة من الحياء يمشون على بِساطِه بين الناس. وإذا ضاع الحياء في الرجال كان النساء له أضيع، ونحن نرى ذلك الآن بأعيننا. فالمرأة ترتبط نفسيا بالرجل ارتباطا وثيقا، فإذا غض الرجال أبصارهم حياءً كانت المرأة أشد طلبا للحياء والستر منه، أما إذا لم يغض الرجال أبصارهم فالمرأة ستكون أحرص على أن تفعل للرجل ما تشتهيه عينُه، وإن أنكرت أنها تفعل ذلك من أجله.

فعلى العلماء أن يكون همهم زرع شجرة الحياء في أعلى صورة منه في المجتمع رجالا ونساء، وأن يكونوا هم قدوة فيه، لا أن يكتفوا بالتحسر على ما ضاع منه، وقد كان حقيق به أن يضيع بعد أن أهملنا سقياها ورعايتها، فالحياء شجرة كان ينبغي علينا أن نسقيها باستمرار ونرعاها باهتمام شديد حتى تبقى وارفة في أسمى صورة لها فلا تضعف على مر السنين والقرون، فهي لن تَسقِيَ نفسها أو ترعى نفسها، وخاصة أن هناك من يريد من أهل الفسق والضلال أن يقطعها من جذورها في المجتمع المسلم.

والحياء يجعل بين المرء وبين المعاصي مسافة كبيرة، لأن الحيي يترك القبائح ويترك المكروهات، ويطلب الأجمل في الفعل والقول، ويحرص على الأكثر مروءة قولا وفعلا، حتى إنه ليستحي أن يراه ويسمعه من غيره. فكيف بعد كل ذلك أن يقع في معصية أو يفتنه أهل الأهواء.

فالحياء بالإمكان اكتسابه كما هو بالإمكان فقده، ومجالسة الأخيار مما يعين على حفظ مكارم الأخلاق واكتسابها، والقراءة والسماع لأخبار أهل الحياء والمروءات مما يشجع النفس على اكتسابها، والغاية من كل ذلك هو التخلق بالحياء ابتغاء وجه الله، وليس تحسبا لأقوال الناس والتفاتا لنظرتهم، وهذا هو حياء الإيمان وهو خلق الإسلام.

ليس من الحياء

إن بعض الناس يمتنع عن بعض الخير، وعن قول الحق وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بزعم الحياء، فيقول استحييت أن أفعل أو استحييت أن أتكلم، وهذا بلا شك لا علاقة له بالحياء بل هو إما خجل أو ضعف في نفسه التي هيأت له أن يسكت استقلالا لنفسها أو لرهبتها من الناس؛ فخير البشر مُحَمَّد ﷺ كان أشد الناس حياءً، ولم يمنعه حياؤه من قول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل والغضب لله إذا انتهكت محارمه. وقد غضب ﷺ لما أتاه أسامة بن زيد يستشفع في المرأة المخزومية التي سرقت، وقد مرَّ ﷺ على امرأة تبكي عند قبرٍ فوعظها ونهاها.

ولا منافاة بين الحياء وقوة القلب وشجاعته؛ فقد كان رسول الله ﷺ أشْجَعَ الناس، ومع ذلك كان أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرِها! لأن الحياء الحقيقي لا يكون إلا في الأنفس الكريمة القوية.

صعد عمر بن الخطاب يوما على المنبر وقال: لا تزيدوا في مهور النساء وإن كانت بنت ذي الغصة –يعني يزيد بن الحصين الحارثي– فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال. فقالت امرأة من صفة النساء طويلة في أنفها فطس: ما ذاك لك؟، قال: ولم؟، قالت: لأن الله قال: (وآتيتم إحداهن قنطارا...) (سورة النساء من الآية: ٢٠)، فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ فيه. فلم يمنعها الحياء أن تقوم أمام الناس لتدافع عن حق النساء، ولم يستحِ عمر أن يعترف بخطأه أمام الناس.

يقول يحيى: ما رأيت رجلاً قط أصفق وجهاً في الله عز وجل من سفيان الثوري، (يعني إذا صار الجد والإنكار كان أصفق وجه، وأسمك وجه أمام أهل المنكر)؛ ولذلك أنكر على المهدي أموراً جساماً حتى قال وزير المهدي لسفيان: شططت، تتكلم على أمير المؤمنين وأنت بحضرته بمثل هذا الكلام؟ فقال سفيان: اسكت، ما أهلك فرعون إلا هامان. قال: يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أضرب عنقه؟ قال الخليفة له: اسكت، ما بقي على وجه الأرض من يُستحيا منه غير هذا.

فسفيان من أكابر العلماء، ولم يستح أن ينكر على أمير المؤمنين بحضرته، بل كان وجهه ينم عن قوة وتحدي وهو يكلمه، واستحى الخليفة منه لعلمه وقدره، وهذا من معاني الحياء الذي ذكرناه، وليس حياء غض البصر وستر العورة وفقط.

ولا يمنع الحياءُ من طلب العلم والسؤال عن مسائل الدين....

عن أم سلمة قالت: جاءت أم سليم الأنصارية ﵂ تسأل رسول الله ﷺ:(**يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا رَأَتِ المَاءَ، فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي وَجْهَهَا، وَقَالَتْ :يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ تَحْتَلِمُ المَرْأَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا**)[٤٢]

فلم يمنع الحياءُ أم سليم ﵂ من السؤال، ولم يمنع الحياءُ الرسول ﷺ من البيان. ولما استحت أم سلمة ﵂ سألته أيضا متعجبة على استحياء، فقال لها نعم، ودعا لها، وكأنه ﷺ أعجب بما ظهر عليها من حيائها مع سؤالها، ثم زادها بيانا في الإجابة.

٤٢ صحيح البخاري- كتاب العلم-باب الحياء في العلم- حديث رقم ١٣٠

عن عَائِشَةَ ﵂: (أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ؟ فَقَالَ» :تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا، فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا «فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا؟ فَقَالَ» :سُبْحَانَ اللهِ، تَطَهَّرِينَ بِهَا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ، وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ؟ فَقَالَ» :تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ)[٤٣].

جاء في سير أعلام النبلاء أن ابن عباس ﵄، قال عن نفسه: "إن كنتُ لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ". وكان عمر ﵁ إذا ذكر ابن عباس قال: "ذلك فتى الكهول، له لسان سؤول وقلب عقول". فليس من الحياء الامتناع عن طلب العلم وتعلُّمه،

قال مجاهد: (لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر)

"فلا حياء في تعلم الدين" وتلك هي العبارة الصحيحة التي يقولها خطأً بعضُ الناس حين يقولون "لا حياء في الدين" بل الحياء هو الدين كله كما قال رسول الله ﷺ.

فلذلك؛ فليس من الحياء ولا علاقة له بالحياء أن يخجل المسلم من السؤال في طلب العلم ولو في أخص المسائل وأشدها استحياء، **ولكن** ومع ذلك؛ فإنه لا يعني أنْ "لا حياء في تعلم الدين والعلم عموما" أن نترك الحياء في كيفية السؤال وطريقة الإجابة. ففي كلاهما

٤٣ صحيح مسلم- كتاب الحيض -باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم -حديث رقم ٦١/٣٣٢

يجب أن نستخدم فيهما الألفاظ الجزلة الراقية ما استطعنا في ذلك لبيان ما نريد، وهذا هو الإسلام لمن يريد أن يفقه الإسلام.

فالإسلام يجمع السمو في جميع الأخلاق والفضائل دون أن يضيع منها شيئا على حساب أخرى؛ فهو يجمع سمو الحياء مع الشجاعة مع ذروة الحرص على العلم والفقه، ويجمع ذروة الكرم والسخاء مع حكمة الاقتصاد والتدبير، ويجمع ذروة الحلم والصفح الجميل مع قمة العدل والحزم، ويجمع ذروة الشجاعة والتضحية مع قمة الحكمة والأناة، ويجمع ذروة السلام وحسن المعايشة مع الآخرين من غير المسلمين مع قمة العزة والبراءة منهم.

فالإسلام يجمع بين أخلاق سامية متقابلة غير متضادة ولا يرضى إلا أن يحافظ عليها كلها، ويتضح ذلك بجلاء في مثالين شديدي الوضوح في حديثين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أولهما عندما كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما صائمين صيام تطوعٍ في سفرٍ مع رسول الله ﷺ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقومون على شؤونهما رفقا بتعبهما في السفر والصيام، فانظر ما قال لهما رسول الله ﷺ.

عن أبي هريرة ﷺ قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ فَأُتِيَ بِطَعَامٍ، فَقَالَ :لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : **(ادْنُوَا فَكُلَا . فَقَالَ: إِنَّا صَائِمَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اعْمَلُوا لِصَاحِبِكُمْ، ارْحَلُوا لِصَاحِبِكُمْ، ادْنُوَا فَكُلَا)**.[٤٤]

"اعملوا لصاحبكم، ارحلوا لصاحبكم" إنكارٌ من النبي ﷺ عليهما من أن يقوم أحدٌ على شؤونهما، وأن يكونا كالّين على غيرهما بسبب صيامهما في السفر، فأمرهَما بالفطر، مع أن

٤٤ المستدرك على الصحيحين للحاكم-كتاب الصوم- حديث رقم ١٥٨٣

الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يفعلون الذي يفعلونه معهما إلا حبا وكرامة لهم، وهم أهل لذلك، وفوق ذلك فقد كانوا صائمين، ومعروف للجميع الفضل العظيم للصيام الذي قال فيه رسول الله ﷺ: **(مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ، بَاعَدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا)**[٤٥] ، ولكن كل ذلك لا يصح أبدا أن يكون على حساب خلق من الأخلاق.

وأما المثال الثاني(**فعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلَاثَةٌ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ، فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ)**[٤٦].

فتأمل الرجل الثاني كيف كان جزاؤه عندما ترك المزاحمة والتخطي وفي نفس الوقت لم يعرض عن رسول الله ﷺ حياءً من الله تعالى ومن النبي ﷺ والحاضرين، أو استحياءً منهم أن يُعرِضَ عنهم كما فعل الثالث، فاستحى الله منه؛ أي رحمه ولم يعذبه، بل غفر ذنوبه، وقيل: جازاه بالثواب. فهو لم يُعرِض عن رسول الله ﷺ، وأيضا لم يُسئ التصرف ويُسئ خلقه أمام رسول الله ﷺ بالتضييق عليهم في مجلسهم ولم يكن هناك فرجة ليجلس فيها.

---

٤٥ الراوي: أبو سعيد الخدري، صحيح مسلم. كتاب الصيام باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، -حديث رقم ١١٥٣

٤٦ الراوي: أبي واقد الليثي- صحيح مسلم -كتاب السلام « باب من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم حديث رقم ٢٦/٢١٧٦

ولذلك لا ينبغي للمؤمن أن يضيع خلقا ليحوز علما أو فضلا من الدين، كما لا ينبغي أن يطلب المسلم عبادة فيضيع من أجلها خلقا. بل ينبغي أن يحافظ عليها كلها جميعا إن استطاع، وإلا قدّم الفرض والواجب على ذلك الفضل مهما كان فضله عظيما جدا.

فالأب مثلا عند تعليم أبنائه الصلاة والصيام عليه أن يتحلى بالرفق والصبر وعدم الاستعجال، وهذا مما قد يخطئ فيه بعض الآباء المتدينين فلا يأخذون أبنائهم بالصبر والرفق عند تقصيرهم في أمر الصلاة أو الصيام، وقد يسبونهم بألفاظ لا تليق مستحلين ذلك بأنهم أبناءهم ويريدون لهم الخير والاستقامة، وهذا خطأ فادح لا يرضاه الدين.

وبعض الآباء عند تعليم أبنائه الحياء يغفل عن تعليمهم الشجاعة في الحق وقوة الشخصية، أو العكس؛ فقد يربي فيهم الشجاعة والجرأة على حساب الحياء وحسن الخلق، وليست مثل هذه التربية تليق بالإسلام، فالإسلام يجمع الأخلاق كلها في سموها وقوتها.

وهذا هو الإسلام لمن أراد أن يفقه الإسلام وأراد أن يقوم بحقه.....

الخجل

الخجل هو الشعور بالخوف، أو عدم الراحة، أو الإحراج خاصة عندما يكون الشخص بين أشخاص آخرين، ويحدث هذا عادة في مواقف جديدة أو مع أشخاص غير مألوفين. ويمكن أن يكون الخجل من سمات الأشخاص الذين لديهم الافتقار إلى الثقة بأنفسهم، أو لديهم فهما ونظرة لأنفسهم أقل مما هم عليه.

والسمة المميزة الأساسية للخجل هي الخوف إلى حد كبير مما سيفكر به الآخرون في سلوك الشخص. فيخاف الشخص من فعل أو قول ما قد ينتج عنه ردة فعل سلبية تجاهه، مثل الضحك عليه، أو الانتقاص منه أو انتقاده، وغالبا ما يختار الشخص الخجول ببساطة تجنب المواقف الاجتماعية بدلاً من ذلك.

والخجل باختصار هو الترقب الزائد لكلام الناس أو نظرتهم وردة فعلهم على الشخص، فيتجنب الشخص مواجهتهم أو عدم الكلام بينهم، أو النكوص عن فعل يريده وهم موجودون. وهو على درجات في الناس يبدأ من خجل بسيط إلى خجل شديد يسبب للشخص انطواءً وبعدا عن المجتمع، ولكن قد تصل المشكلة أحيانا إلى أشكال أقوى من الخجل تعرف بالرهاب الاجتماعي.

وكل ما سبق يفسر حالة من حالات الضعف النفسي التي تصيب بعض الناس. وإذا كان الخجل ضعفا فيستحيل أن يكون من أخلاق الإسلام أو مقترنا بصفة من صفاته. بل يجب على المربي أن يربي الطفل التخلص من تلك الصفة، لكن مع الحفاظ على خلق الحياء، وأول ما يجب أن يعرفه هو الفرق بينهما.

فإذا بلغَ المسلم أو المسلمة وقد عرَفَ أحدُهما في طبعه الخجل فعليه أن يتخلص من ذلك الخلق الذي لا ينبغي أن يكون في أخلاق المسلم، لأن الخجل ضعف، وقد قال رسول الله ﷺ : (**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ..**)[٤٧] وقال أيضا: (**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**")[٤٨] فليس في أخلاق الإسلام ضعف أو انطواء وانعزال عن المجتمع. ولكن في سبيل تخلصه من الخجل عليه أن يحافظ على حيائه حتى لا ينقلب خجله وحياؤه إلى بذاءة وجفاء.

وأما الوسائل التي قد يستخدمها المرء في التخلص من الخجل فأولها الاستعانة بالله، فتدعو الله أن يصرف عنك هذا الخلق السيئ وتتحلى بخلق الحياء، وقد كان رسول الله يدعو فيقول (**اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ...**)[٤٩]

ومن الوسائل أن تبحث عن الصالحين فتخالطهم لأنهم أبعد الناس عن الاستهزاء بالآخرين، بل هم أكثر الناس تقديرا للأنفس الرقيقة، وكثيرٌ ممن يتّسمون بالخجل يحملون نفسا رقيقة لكن فيها شيئا من الضعف أورثها الخجل، وهؤلاء الصالحين سيساعدون هذا لشخص على التخلص من هذا الخلق تدريجيا ولو بطريقة غير مباشرة.

---

٤٧ الراوي: أبوهريرة- صحيح مسلم- كتاب القدر - 8 باب في الأمر بالقوة وترك العجز -حديث رقم ٣٤/٢٦٦٤

٤٨ الراوي: عبدالله بن عم-السنن الكبرى للبيهقي- كتاب آداب القاضي -باب فضل المؤمن القوي . حديث رقم ٢٠١٧٤.

٤٩ الراوي: علي بن أبي طالب- صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين- باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه،حديث رقم (٢٠١/٧٧١)

ومن الوسائل القراءة في الكتب التي تنمي الشخصية، أو الاستماع للمحاضرات التي تعلم الإقدام والمبادرة، وكل هذا مع لزوم رغبة التغيير داخل الشخص نفسه، وأن يعلم أن من الواجبات الشرعية عليه تزكية نفسه، ومن تزكية النفس هو تخلقها بالأخلاق الحميدة وتنقيتها من الأخلاق الرضية والمعيبة، وليتذكر قول الله تعالى سبحانه وتعالى:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى (١٤) وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّى(١٥)

(سورة الأعلى)

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١)

(سورة الشمس)

أخيرا

- إن دليل حياء الرجال في أبصارهم، وإن دليل حياء النساء في وجوههن، ولو غض الرجال أبصارهم لغطت النساء وجوههن، وإن كَثُر كشف الوجه في نساء مجتمع فاعلم أن رجالهم لا يغضون أبصارهم عنهن.
- والحياء ليس هو غض البصر وتغطية الوجه، وإن كانا علامتان عليه، ولكنه نفس تعودت الطهر والنقاء في أفعالها وأقوالها، حتى لم تقدر أن تسمع أو ترى في الناس ما يَعيبُ من الأقوال والأفعال فضلا عن أن تأتيها.
- **ولو أنفق العلماء ألف كتاب في خلق الحياء، وكتاب واحد في حكم النقاب وغض البصر، لكان أفضل ألف مرة من أن ينفقوا ألف كتاب في حكم النقاب وغض البصر، وكتاب واحد في الحياء.**
- فلو اجتمع ألف مُفسد على أن ينزعوا لباس الحياء عن امرأة قد ارتوت منه ما استطاعوا أن ينزعوه، وما استطاعوا أن ينزعوا غطاء وجهها، ولكن لو قام رجل واحد أو امرأة واحدة على أذن امرأة واحدة لم ترتوي من الحياء لِينزعوا عنها غطاء وجهها لأوشكت أن تخلعه، لا يمنعها إلا خوف أو ترقب فرصةٍ إلى حين.
- وإنّ امرأة لا حياء لها لا خير كثيرٍ في نقابها، كما أن رجلا لا حياء له لا خير كثيرٍ في تقصير ثوبه ولحيته.

فهرس

إهداء<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<١

مقدمة<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<٤

ما هو الحياء؟<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<٧

الحياء والإيمان<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<١١

فضل الحياء<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<١٥

أنواع الحياء<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<١٩

الحياءمن الله<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<٢٢

الحياء من الناس<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<٢٩

من حياء الصالحين والسلف<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<٣٢

حالنا اليوم<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<٤٠

كيف نزرع خلق الحياء في المجتمع<<<<<<<<<<<<<<<<٤٣

ليس من الحياء<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<٤٨

الخجل<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<٥٤

أخيرا <<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<<٥٧